

(عبر وعظات في موت أسد الفرات)

للشيخ حسين بن محمود (حفظه الله)

يولد في اليوم آلاف الناس ويموت آلاف لا يدري عنهم أحد إلا أقرب الناس إليهم، وقد أصبح اليوم في حوزة الأهل والجيران والقبائل الخلان فيموت الرجل ولا يسمع أهل بيته فضلاً عن أئمة البيت أو القطر!!

لقد كان لموت العظماء بالغ على الناس، فموت الرسول القائد القدوة النبي الرسول خليل الرحمن ابا القاسم علي بن أبي طالب عليه السلام والصلاة والسلام، ولم ولن تُفجع الأمة بأحد من بعده، فموت علي بن أبي طالب عليه السلام وانقضى عهد الصحابة والتابعين فمات من ثلم الإسلام بموته ما كفى على فراقه المسلمون، وكان السلف يقولون للملوك: بنا وبينكم الجنائز، فتري الملك يموت ولا يمشي في جنازته إلا من يريد أن يتزلف لمن بعده من أهله، وإن كان قد دبروا لئلا يبعده هجره الناس وتركوا جنازته، بينما يمشي في جنازة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ألف مسلم يكون ويدعون الله له الرحمة وقد أقفلت الجحافل خلف جنازه وظاهر الحياة في بغداد..

كم رأينا من ملك ورئيس أتبع المسلمون تراب قبورهم ودعوات العجائز في الأسحار.. وكان أخف الناس عليه من ترحم على موتى المسلمين يورى بكلماته ويتجنب بلعنه والدعاء عليه: ذكر ميت بسوء خوف المسائلة..

إن بيننا وبينهم الجنائز.. بيننا وبينهم المراثي.. بيننا وبينهم دعوات العجائز في الأسحار.. بيننا وبينهم إخلاص الدعاء على المنابر في الأقطار.. بيننا وبينهم دموع المسلمين.. بيننا

وبينهم موقف الكفار والمنافقين.. بيننا وبينهم ما بعد الموت من لوعة وشوق وحنين.. بيننا وبينهم دعوات الصالحين عند تغفير الجبين..

إن في موت العظماء عبر وعظات، وقلما يموت عظيم إلا وترك للناس ما يجعلهم يعيدون حساباتهم ويغيرون بعض تراتبيهم، ويترك بعده فراغا ربما لا يسده إلا الجماعة، وقلما يموت عظيم في التاريخ ويخلفه مثله..

لقد سقط من العبر والعظات في موت أسد الفرات الأمير المعتز بدينة قائد قاعدة الجهاد في أفغانستان عظمى شورى المجاهدين والاماجرين وسيد المرباط احمد بن فضيل الخلايلة الملقب بالزرقاوي

العبرة الأولى:

قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤهً فَارَزَّهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (ومن هذه الآية انتزع الإمام عبد الله بن مسعود رحمه الله عليه، في رواية عنه، بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك) [تفسير ابن كثير].

ويرى المرء التطابق العجيب بين موقف الكفار والروافض من الصحابة وموقفهم من خير
مقتل الأمير أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله، فأهل البدع لا يكونون أشداء على الكفار
رحماء مع المسلمين، وإنما هذا شأن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وروافض لبنان
والعراق والجزيرة وفارس رقصوا طربا مع الصليبيين واليهود لمقتل هذا القائد الفذ الذي
كان شديدا على الكفار رحيفا بالمؤمنين على جبينه أثر السجود، أُعجب به المسلمون
وأبغضه الكافرون:

حَمَّ الوَبَّةِ الجَهْدَ مَظْفَرُ... خَسَتْ لَهُ الشَّمُ الكَمَاةَ تَحْطُّمَا
أَمَّ صَوْرَ فِي الْأَمْرِ فَاسَلَّ... لَعَنَ الصُّوفِ إِذَا أَرَادَ تَكَلُّمَا
بَرْدٌ عَلَى الْأَدْنَى لَوْرُهُ... سَلَّ بِرَحْمَةٍ لَوْرُهُمَا
وَإِذَا الْأَيَّامُ النَّارُ تَدِينُهُ... لَعَنَ مُدَّ مُحَمِّمَا
فِيذِيقُهُمْ طَعْمَ الْمَنُونِ بِفَتْكِهِ... لَعَنَ أَيْ مُتَفَحِّمَا

رحم الله من أحيأ بحياته آيات في كتاب الله كانت معاليها عن الناس، وأزاح بموته
الستار عن معاني في كتاب الله كانت نسيا منسيا، وبمثل هذا يحيى السنن.

العبرة الثانية:

عندما أعلن الإعلام العالمي عن انسحاب إيران من اتفاق باريس انيوم ارتفع سعر النفط نصف
دولار للبرميل في اليوم التالي، وعند ذلك أعلنت الحكومة العراقية أن خير مقتل القائد الأمير أبو
مصعب الزرقاوي - رحمه الله وتقبله في الشهادة - خفض سعر النفط دولارا واحدا
للبرميل في اليوم التالي، أي أن خطر الأمير أبو مصعب الزرقاوي أعظم مرتين من خطر
سلاح إيران النووي بشهادة العالم.. ثم بعدها بيومين ارتفع سعر النفط دولارا للبرميل اثر
هجمات شنها المجاهدون في العراق، مما ينبئ بعدم يأس أهل الجهاد وحضورهم في الساحة
وإن غاب عنهم أمثال أسد الفرات أبو مصعب، وأن الكفار يخشون إخوان أبا مصعب
كما كانوا يخشونه رحمه الله وتقبله في الشهداء..

رغم اختلاف كثير من العلماء والدعاة والناس مع الأمير في بعض أساليبه وعملياته وحتى بعض اجتهاداته إلا أن أكثر هؤلاء حزنوا لموته وترحموا عليه لما رأوا من فرح الصليبيين والرافضة والمرتدين بعد مقتله، فعلم أكثر هؤلاء صدق الرجل وشدة نكايته في العدو، فسبحان من جعل من دم الأمير قطرات دمع في عيون مخالفيه، رحمه الله وتقبله في الشهداء..

العبرة الثامنة:

احتمل الأمير بعد مقتله أن يدفن في مكان ما، فقد عثر عليه في مكان ما، حيثما دفنوه يشعل نوره جذوة الحمية الإسلامية في كل سلمي المكان، كلماته النيرة في قلوب المسلمين وحرك مشاعرهم، واليوم يحضر في كل صلاة في كل صلاة فرحم الله محرض المؤمنين حيا وميتا وتقبله في الشهداء..

العبرة التاسعة:

يروى من أثق به أنه وأمه كانا يأكلان الغداء، ورأى العجوز على وجهه أثر الحزن فقالت: ما لك، قال: قُتل أبو مصعب الزرقاوي، وما كنت أعلم أنها تعرفه، فلا والله ما رفعت القمة التي كانت بيدها، لم تأكل سائر يومها وأخذت تلهج للزرقاوي بالدعاء وتبكي، فقلت: هذا الرجل لا أنتم.. ومثل هذه القصص عن أمهات الشهداء كثيرة، ولولا الحذر لذكرت ما يثلج الصدر ويطمئن القلب من حقيقة مودة الناس للأزدي الهزير رحمه الله وتغمده بواسع رحمته.. حتى أمهاتنا وجداتنا يتابعن قضايا الأمة ويعرفن قادة الجهاد رحمهم الله ونصرهم على الأعداء وبارك الله في أعمارهن وتقبل دعائهن وتضرعنهن..

العبرة العاشرة:

حزن الشباب المسلم لفراق الزرقاوي -رحمه الله- ومقتله، إلا أن الدلائل تشير إلى ثقة الشباب بقيادة القاعدة ومجلس الشورى المجاهدين في بلاد الرافدين، وعدم الخوف على الجهاد، وثقتهم بوجود كفاءات تحل محل الأمير وتؤدي دورها، فهذه الثقة أتت نتيجة ثقتهم الكبيرة بالقاعدة الأم وبخبرة الإخوة المجاهدين في العراق وإخلاصهم ووضوح رؤيتهم، وهذا في حد ذاته مكسب كبير جدا للمجاهدين..

العبرة الحادية عشر :

لقد -علماء المسلمين- بعض هؤلاء نعقوا على استحياء يريدون ان يوسوسوا في الناس ليصنعوا من مقتله نكبة من مودة للأمير -رحمه الله- ثم تلاشت عنهم تلك النكبة وتلاشت عنهم وتترحمهم على أسد الفرات، فكان رحمه الله تعالى السلاطين حياءً ومسكتاً لهم ميتاً رحمه الله..

وبعد..

إن العبر كثيرة، وفي ما ذكرنا من إشارات دلالت على عقل، فالأمة الإسلامية اجتمعت على حب الرجل واحترامه ومنتهى في حب الرجل واحترامه من اختلج معه من اختلاف في ساليه وبعض اجتهاداته، فقد كان رحمه الله من الذين نكبت في إبداء الأمة وأعظمهم إرهاباً لهم، ولذلك لم يملك الكفار أنفسهم ورفضوا في نشأته وشكرتهم طرباً لسماع خبر مقتله رحمه الله، وهذا ما ورد في موقع الجزيرة في يوم الجمعة (١٣/٥/١٤٢٧هـ) أي بعد يوم من مقتله رحمه الله:

"الرئيس الأميركي جورج بوش وصف مقتل الزرقاوي بأنه ضربة قوية لتنظيم القاعدة وهو انتصار على ما أسماه الإرهاب.

واعتبر وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد أن تنظيم القاعدة في العراق تلقى ما أسماها صدمة صاعقة، وأن إيجاد خليفة له "ليس مستحيلا لكنه سيستغرق وقتا وجهدا".

ولكنه أشار إلى أنه "بالنظر إلى طبيعة الشبكات الإرهابية فإن مقتل الزرقاوي لا يضع رغم أهميته نهاية لكل أعمال العنف في ذلك البلد".

كما وصف رئيس الوزراء البريطاني توني بليز الحدث بأنه "سار جدا وضربة لتنظيم القاعدة على مكانه، والتسمية في المعركة توسع ضد الإرهاب".

أما رئيس الحكومة العراقي المالكى فقد قال إن مقتله يمثل "رسالة قوية للمقاتلين في العراق على شجاعة ودون خوف أو كلل أو ملل".

وهنا رئيس لائحة الائتلاف العراقي الموحد الشيعية عبد العزيز الحكيم الشعب العراقي بمقتل زعيم القاعدة، متهما إياه بأنه كرس حياته الأخيرة لشن حرب "الابادة الطائفية" ضد الشيعة.

كما وصفت الحكومة الإسرائيلية على المنصب باسمها مقتل الزرقاوي بأنه "نصر عظيم للديمقراطيات الغربية والأنظمة المعتدلة في الشرق الأوسط"، معتبرة أن تنظيم القاعدة هو "الأكثر إجراما".

أما الحكومة الأردنية التي أعلن المتحدث باسمها مساعدة مخبراتها للقوات المتعددة الجنسيات في عملية قتل الزرقاوي، فقد هنأت الشعب العراقي والحكومة العراقية بهذا الحدث.

واعتبر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان أن مقتل الزرقاوي يبعث على "الارتياح"،
محذرا من أن هذا الحدث لا يعني نهاية العنف في العراق.

وفي النمسا اعتبر المستشار فولفغانغ شوسل الذي ترأس بلاده الاتحاد الأوروبي أنه ينبغي
مواصلة مكافحة ما يسمى الإرهاب إثر الإعلان عن مقتل الزرقاوي، كما اعتبر الممثل
الأعلى للسياسة الخارجية للاتحاد خافيير سولانا الحدث "ضربة قوية" للقاعدة.

ووصف المستشار الألماني ميركل مقتل الزرقاوي بـ "النبا السار"، مؤكدة أن
زعيم القاعدة كان "كل الرجال حصة".
وأعربت الخارجية الفرنسية عن أملها في أن يؤدي مقتل الزرقاوي إلى عودة الاستقرار
والأمن إلى هذا البلد في إطار استعادته للوحدة الوطنية.
المصدر: الجزيرة + وكالات

فالذين فرحوا بمقتل الزرقاوي هم رؤوس الكفر من المسلمين واليهود والرافضة والمرتدين
وكل من ربط مصيره بمصير هؤلاء أو بمصير أتباع هؤلاء من الحكام المتسلطين على بلاد
المسلمين، ولا أعرف مسلما له عقل أو ضمير يدعوا إلى إخراج من يقتله رحمه الله وتقبله في
الشهداء..

إن من سنة الله أن يجعل في بعض العصور أولياء من العلماء أو المدعاة أو القادة تكون
محبتهم دليلا على صدق محبيهم، وبغضهم والنيل منهم دليل على خلل في اعتقاد المبغضين،
ولا أحسب الأمير الزرقاوي - رحمه الله - إلا من هؤلاء الذين بحبهم يُعرف الصادقون
وببغضهم يُعرف أتباع بوش وبليز واليهود والمبتدعة وأهل الأهواء وعبيد الدراهم
المأجورين، ولعل من هذا المنطق نستطيع أن نقول بأن الأمير أبا مصعب يُعد فاروقا في هذا
الزمان: فرق الله به بين أهل الحق وبين أهل الكفر والضلال، والله في كل زمان فاروق يميز

به الخبيث من الطيّب، ولا زال أهل العراق أعزّة منذ أن وصلهم الزرقاوي رحمه الله وتقبله في الشهداء..

لقد ألقت الحكومة الأردنية المرتدة القبض على بعض العلماء والدعاة لتعزيتهم أهل الأمير، واتهمتهم بـ "المساس بالوحدة الوطنية وإثارة النعرات"، في محاولة لكبت جماح المشاعر الإسلامية المنهمرة كالسيل الجارف في القنوات الفضائية والجرائد والمجلات والشبكة العالمية.. لقد منع القوم حتى العزاء وإبداء المشاعر الإنسانية ليطمسوا حقيقة محبة المسلمين للجهاد المأهدين، ولجاءت الكلمات كانت أهل من أن تُحبس، والعبرات أكبر من أن تُكسر تحت أقدامهم من بين روافد الكلمات وخبيث رجال من ليعلم المسلمون أن الأمة الإسلامية بأهلها وأهلها بأهلها، وأنهم ينفذون في الناس من يذل دينه من أجل حبس في أعينهم، والصدق لصدقهم الصدق وإعلائهم الحق..

إن إخواننا وأخواتنا أبناء فضيل الخلافة - أعزهم الله - وقُتل أخوهم - عزائهم أن الأمة كلها كبرت يوم أن أطل الزرقاوي في شريطه المؤثر والأمة كلها بكّت يوم أن قُتل الزرقاوي، والأمة كلها تدعوا له بالرحمة والشهادة، ولأن منعت السلطات الأردنية المرتدة الناس من الوصول إلى "عرس الزرقاوي" الذي كان لافتة على بيتهم يوم العزاء كتبوا عليها "عرس الشهيد الزرقاوي" أي "عزيم" بمدينة "الزرقاء" الأردنية فإن التاريخ سيسجل بمداد من ذهب قصة هذا القائد في القرن الخامس عشر، وسيهمل التاريخ عبد الإنجليز وأبوه وجده مؤيد يهود، وكثرة التناقض بالسبب وإنما عزة الرجال بعقيدتهم وأفعالهم، فأبو لهب الهاشمي القرشي تبارك الله، رحمت المولى له موعد في جنة المولى ورضاه..

إن لم تصل إلى عزاء أميرنا الأجساد فقد وصلت القلوب، وإن لم تصل الكلمات فقد خرجت الدعوات من أفئدة المؤمنين تطرق أبواب السماء.. إن مثل أسد الفرات لا يُعقد له مجلس عزاء في حي واحد، فالأمة كلها لا يسعها حي صغير، ولا والله لا تسع الزرقاء

ولا الأردن حجم محبة الأمير في قلب مسلم واحد فكيف بألف ألف مسلم يودون لو
فدوه بأنفسهم وأهليهم!!

نحن لم نصل إليكم ولكن الله يعلم كم وددنا أن نعانق أختاً تربي مع أحمد، وكم وددنا أن
نقبل رأس رجل أنجبت زوجه أحمد، وكم وددنا أن يتعلم نساؤنا من ثبات وعزم وإيمان
أخوات أحمد الخلايلة رحمه الله وتقبله وطيب ثراه..

حُقٌّ للعالم أن يرفعوا رؤوسهم، فقد رفعها في الوري أحمد.. حُقٌّ لعشيرة "بن حسن"
أن يهاجروا فقرهم، فقد هاجرهم عباده أحمد.. حُقٌّ للعالم أن تدخل التاريخ فقد خرج من
جنابها أحمد.. حُقٌّ للعالم أن يحرر الأقطار، فقد حررها أحمد..

رحل الأمير فقراً إخوانه بعد موته بلحظات، قال: **أَوَّلُ مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** {آل عمران:
١٤٤}، معتقدين ذلك حق الاعتقاد، ومشوعدين الاعتقاد، ودمار ولسان حالهم
يقول:

لن أسبل الدمع السخين لعوسكم... سأل فكم بدم العلوج القاني

رحمك الله يا أحمد.. رحمك الله يا أمير.. رحمك الله يا رزقاوي.. رحمك الله يا أمير
قاعدة الجهاد في أرض الرافدين.. رحمك الله يا أحمد.. رحمك الله يا شوري المجاهدين.. رحمك الله
يا مُرهب الكفار والمنافقين.. رحمك الله يا أسد الدين المعتر بدين بين العالمين.. عشت
حرا ومت حرا.. عشت حميدا ومت مية تمنيتها فنلتها.. نسال الله لك يا قرّة العين أن يقر
الله عينك بلقاء الأحبة: محمداً وصحبه..

اللهم ارحم عبدك أحمد الخلايلة وتقبله في الشهداء..

اللهم هذه شهادة نلّقاك بها:

لقد كان باراً بالمؤمنين رؤوفاً بالموحدين ذليلاً للمسلمين عزيزاً شديداً مرهبا للكفار أعداء الدين.. اللهم تقبل جهاده، اللهم تقبل تعبته ونصبه، اللهم احشره بريح المسك مرفوع الرأس وقد أمن الفرع الأكبر، وأجعله اللهم من أول فوج يدخلون الجنة من الذين يزدحمون على بابها، اللهم اجعله من الذين يرفع الناس له أعناقهم في الفردوس الأعلى إنك كريم جواد رحيم..

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

[ملاحظة: الأبيات في البيت في قصيدته من كتب الأبيات ولكن أسأل الله لهم [



الداعي للزرقاوي بالرحمة

حسين بن محمد

٢٧ جاهد